تجليات ظاهرة الترادف في ديوان" أغاني الحياة لأبي القاسم الشابي"

الدكتورة: ليلي سهل
قسم الآداب واللغة العربية
كلية الآداب و اللغات
جامعة بسكرة- (الجزائر)

ملخـــــص:

تعدّ ظاهرة الترادف من الظواهر اللغوية التي أولاها العلماء اهتماما كبيرا من حيث كونها وسيلة من وسائل النمو اللغوي والثراء اللفظي من جهة، وباعتبارها واحدة من أنواع التعدد الدلالي الهامة من جهة أخرى. لهذا سنتناول في هذه الدراسة موضوع الترادف من خلال المفهوم وآراء العلماء حوله، وأنواعه،وكذا تجلياته في ديوان أغاني الحياة لأبي القاسم الشابي.

ABSTARCT:

The phenomenon of synonymy has occupied much of the interest of the old and contemporary Arab scientists. They have different doctrines about that phenomenon for what it has of close contact to meaning and significance, and for the ambiguity that surrounds it. Some recognized and proved its presence in the language through their writings while others ignored it. This study examines the subject of “synonymy” through its concepts, the view of scientists, and its types, as well as its existence in “Diwan abou elakassem Shabbi”

مقدمة :

ظاهرة الترادف إحدى الظواهر اللغوية التي استوقفت اللغويين في العصور المختلفة، وهي ظاهرة أمرها طبيعي تفرزها كل اللّغات وتشهد بها أبحاث اللغويين. ففي بادئ أمرها بهرت جامعي اللغة ، فتجشّموا لها كل شاق في تصيّدها، وتباهوا لدى الخلفاء بما عندهم منها. وما أكثر من يتباهون بالترادف الثروة، ويعدّونها ميزة من مزايا العربية الشريفة .

1/ مفهوم الترادف Synonymy :

جاء في "لسان العرب" "لابن منظور" في مادة (ردف) (1): "الرِّدِفُ: ما تَبِعَ الشيء، وكل شيء تَبِع شيئا ، فهو رِدْفُهُ، وإذا تتابع شيء خلف شيء، فهو التَّرَادُفُ والجمع الرُّدَافَى". والترادف ما اختلف لفظه واتفق معناه، و هو أن يدلّ لفظان أو أكثر على معنى واحد، مثل: أسهب ، وأطنب ، وأفرط ، وأسرف ، بمعنى واحد".

و أشار "سيبويه" (ت 180هـ) في "الكتاب" إلى ظاهرة التّرادف ،كما أشار إليها "ابن جني"(ت392هـ) تحت اسم « تعادي الأمثلة وتلاقي المعاني»، وقد تناوله "الغزالي"(ت505هـ) فقال: «وأما التّرادف فنعني به الألفاظ المختلفة والصيغ المتواردة على مسمّى واحد، كالليث والأسد ، والسّهم والنّشاب، وبالجملة كل اسمين لمسمّى واحد، يتناوله أحدهما من حيث يتناوله الآخر من غير فرق» (2) .

وتناول "جلال الدّين السّيوطي"(ت911هـ) في " المزهر" قول الإمام "فخر الدّين الرازي في تعريفه للمترادف بأنّه: « الألفاظ المفردة الدالة على شيء واحد باعتبار واحد »(3) .

والترادف هو ما اختلف لفظه واتفق معناه، نحو: البرّ والحنطة والقمح. وممن اشتهر اسمه بمعالجة ظاهرة الترادف"أبو العباس ثعلب" الذي يروى عنه إنكار الترادف، على الرغم من أنه يعدّ أحد المظاهر الدلالية التي أدركها أغلب علماء العربية، وأولوها عناية خاصة، منذ وقت مبكّر كنتيجة من نتائج رواية اللغة و جمعها من القبائل العربية المختلفة. وتمثّلت هذه العناية في إفرادها بالتأليف المستقل، أو تخصيص مباحث في تصانيفهم، وكلا النّوعين شملته منهجية عامة تمثّل في تدوين ما عرض لهم من الألفاظ والعبارات التي رأوا فيها وقوع الترادف، دون النظر إلى الفروق الدلالية ،التي قد تبرز خلال التدقيق في معانيها. فجاءت

معالجاتهم لشرح هذه الألفاظ، وبيان دلالتها كأنّها مترادفة في أصل وضعها؛ لأنّهم لاحظوا تأديتها لمعنى واحد متعارف عليه في عصرهم، دون النّظر إلى أصول أسمائها، أو الظروف التي رافقت نشوءها، والتطوّرات الدلالية التي مرّت بها(4) .

إنّ علاقة التّرادف ذات أهمية خاصة في العمل المعجمي، حيث إنّه كثيرا ما يشرح معنى الكلمة في المعجم بكلمة أخرى، وهذا يعني أنّ الكلمتين بمعنى واحد .

2/ آراء العلماء حول الترادف :

تناول العلماء العرب القدامى ظاهرة الترادف في اللغة العربية وتباينت وجهات نظرهم في قبوله أو رفضه ، أو بعدم تشدّد بعضهم في وجهة نظرهم وأخذ بوجهة نظر متوسطة بين القبول والرفض . لقد لفتت هذه الظاهرة أنظار العلماء، فأولوها عناية ملحوظة، وعدّها بعضهم من أبرز خصائص العربية؛ ومما يدلّ على اهتمام هؤلاء العلماء أنّ بعضهم قد أفرد كتبا للكلمات المترادفة، فألّف "ابن خالويه" (ت 370 هـ) كتابا في أسماء الأسد، وكتابا آخر في أسماء الحيّة، كما ألّف "الفيروزآبادي" (ت817هـ) كتابا أسماه "الرّوض المسلوف فيما له اسمان إلى ألوف" ، وكتابا آخر أسماه " تدقيق الأسل في أسماء العسل"وذكر فيه للعسل ثمانين اسما(5). وعلى الرغم من هذا فقد انقسم علماء العرب القدامى إلى فريقين: فريق ينكر وجوده في اللغة وفريق يثبته .

فأمّا الّذين اعترفوا به وأثبتوا وجوده في اللغة ، فقد ألّف بعضهم فيه كتبا، و سعى أصحاب هذا الرأي في تأكيد مذهبهم الإشارة إلى أنّ ألفاظ اللغة يفسّر بعضها بعضا، ولا ضير من أن تتعدّد المسمّيات والألفاظ للدلالة على المعنى الواحد. ويمثّل هذا الرأي فريق من العلماء منهم "الأصمعي" الذي حفظ للحجر سبعين اسما في كتابه المسمّى "اختلفت ألفاظه واتّفقت معانيه". وقد نقل "ابن فارس" (ت395هـ)عن مثبتي التّرادف قولهم في كتابه "الصاحبي": « لو كان لكل لفظة معنى غير الآخر، بما أمكن أن يعبّر عن شيء بغير عبارته، وذلك لأنّا نقول في "لا ريب فيه" "لا شك فيه"، فلو كان الرّيب غير الشكّ ، لكانت العبارة عن معنى الرّيب بالشك خطأ، فلما عبّر عن هذا ، علم أنّ المعنى واحد»(6) .

"وابن جني" في "خصائصه" يشير إلى "أنّ باب تلاقي المعاني على اختلاف الأصول والمباني باب من العربية حسن كثير المنفعة ، قويّ الدلالة ، على شرف هذه اللغة؛ وذلك أنّ للمعنى الواحد أسماء كثيرة، وإذا ما بحث المرء عن أصل كل منها، فإنه سيجده مفضي المعنى إلى معنى صاحبه"(7). ومن ذلك إشارته إلى التّرادف بين "المسك" و"الصوار" وإن كان من أصلين مختلفين ، وبناءين متباينين ، كما أنّ الخليقة من (خ ل ق) ، والسجيّة من (س ج و)، والطبيعة من(ط ب ع)، والغريزة من(غ ر ز)،والسليقة من(س ل ق) فالأصول مختلفة ، والأمثلة متعادية ، والمعاني في ذهنك متلاقية" (8) .

ومن العلماء المحدثين الذين يقرّون بوجود الترادف "إبراهيم أنيس" الذي يقول: "مهما حاول بعض علماء اللغة كـ"ابن دريد" و "ابن فارس" وأمثالهما، أو بعض الأدباء من أصحاب الخيال الخصب الذين يلتمسون من ظلال المعاني فروقا بين مدلولات الألفاظ، و مهما حاول هؤلاء إنكار وقوع التّرادف من ألفاظ اللّغة العربية ، فليس يغيّر هذا من الحقيقة الواقعة شيئا"(9). فمثبتو التّرادف قد احتجّوا بأنّ جميع أهل اللغة إذا أرادوا أن يفسّروا كلمة، فإنّهم يجنحون لمقابلتها، وهذا يدلّ على أنّ الكلمة ومقابلها سواء، فإذا ما أرادوا أن يفسّروا اللبّ، قالوا: العقل، وهذا يدلّ على أنّ العقل واللبّ عندهم سواء(10)، "ولو كان لكل لفظة معنى غير معنى الأخرى، ما أمكن أن يعبّر عن شيء بغير عبارته،" فلنا أن نقول في: "لا ريب فيه":"لا شك فيه"، ولو كان الرّيب غير الشك، لكانت العبارة خطأً"(11) .

والملاحظ أنّ مثبتي الترادف كانوا فريقين، أحدهما وسّع في مفهومه ولم يقيّد حدوثه بأية قيود، والآخر كان يقيّد حدوث الترادف، ويضع له شروطا تحدّ من كثرة وقوعه. ومن الآخرين "الرازي" الذي كان يرى قصر الترادف على كل ما يتطابق فيه المعنيان بدون أدنى تفاوت، فليس من الترادف عنده السّيف والصّارم ،لأنّ في الثانية زيادةً في المعنى. ومنهم "الأصفهاني" الذي كان يرى أنّ التّرادف الحقيقي هو ما يوجد في اللهجة الواحدة، أما ما كان من لهجتين فليس من التّرادف .

ومن الذين أنكروا وقوع الترادف في العربية "ابن الأعرابي"؛ إذ إنّه كان يرى «أنّ كل حرفين أوقعتها العرب على معنى واحد، في كل واحد منها معنى ليس في صاحبه، ربّما

عرفناه فأخبرنا به، وربما غمض، فلم نلزم العرب جهله»(12). وكان "أبو علي الفارسي" من منكري الترادف عندما كان في مجلس سيف الدولة بحلب ، حين قال: "ابن خالويه":« أنا أحفظ للسيف خمسين اسما، فتبسّم "أبو علي"، وقال: ما أحفظ له إلا اسما واحدا، وهو السيف،قال ابن خالويه:"فأين المهنّد والصّارم وكذا وكذا؟، فقال أبو علي:هذه صفات..»(13) .

يقول "ابن فارس" :« ويسمّى الشيء الواحد بالأسماء، نحو: السيف، والمهند، والحسام، والذي نقوله في هذا أنّ الاسم واحد وهو السيف، وما بعده من الألقاب صفات، ومذهبنا أنّ كل صفة منها معناها غير معنى الأخرى، وقد خالف في ذلك قوما، فزعموا أنّها وإن اختلفت ألفاظها، فإنّها ترجع إلى معنى واحد، وذلك قولنا: سيف، وحسام، وقال آخرون: ليس منها اسم ولا صفة إلا ومعناه غير المعنى الآخر، قالوا: وكذلك الأفعال، نحو: مضى، وذهب، وانطلق، وقعد وجلس، ورقد ونام وهجع، قالوا: ففي قعد معنى ليس في جلس، وكذلك القول فيما سواه، وبهذا نقول: وهو مذهب شيخنا أبي العباس أحمد بن يحي ثعلب» (14) .

وبالتالي فمنكرو الترادف في اللغة يقرّون بأنّ هناك فوارق دلالية بين ما يظنّ أنه من المترادف، فاختلاف العبارات والأسماء موجب لاختلاف المعاني في كل لغة، وأنّ كل اسمين يخرجان عن معنى من المعاني وعين من الأعيان، فإنّ كل واحد منهما يقتضي خلاف ما يقتضيه الآخر(15) .

وهكذا نجد أنّ علماء العربية القدامى درسوا ظاهرة الترادف على نحو دقيق على الرّغم من اختلافهم حول وقوعه ،ويرجع السّبب في هذا الاختلاف إلى نظرة كل منهم إلى الظاهرة، فالذين قالوا بوقوع التّرادف كانوا ينظرون إلى الثروة اللفظية في اللغة العربية نظرة وصفية آنية Synchronic ، أما الذين كانوا يقولون بعدم وقوع التّرادف، فقد نظروا إلى اللغة نظرة تاريخية تطوّرية Diachronic؛ أي كانوا ينظرون إلى اللغة عبر فترات زمنية مختلفة، ولذلك قالوا:"إنّ وقوع الترادف من آثار التداخل اللهجي أو التطور الدلالي"(16) .

وإذا انتقلنا إلى علماء اللغة المحدثين، نجد بينهم الخلاف نفسه الذي حدث بين القدماء، فمنهم المنكر ومنهم المثبت لظاهرة الترادف ،غير أنّهم وسّعوا من دائرة البحث فيه، آخذين بعين

الاعتبار ماهية المعنى. أما الذين أقرّوا بوجوده، فذلك على قدر التأمل والتدقيق وعدم الإغراق في التوسيع والتضييق، "كعلي الجارم" و "إبراهيم أنيس، وستيفن أولمان" (17) .
كما أشار الدكتور "إبراهيم أنيس":" إلى أنّ المحدثين من علماء اللّغة يجمعون على إمكان وقوع التّرادف في أيّ لغة من لغات البشر، بل إنّ الواقع المشاهد أنّ كل لغة تشتمل على بعض تلك الكلمات المترادفة، ولكنّهم يشترطون شروطا معيّنة، لابدّ من تحقّقها حتى يمكن أن يقال إنّ بين الكلمتين ترادف"(18)، وقد انتقد مذهب القدامى المنكرين للتّرادف قائلا:" إنّ بعض هؤلاء الذّين أنكروا الترادف كانوا من الأدباء النقاد الذين يستكشفون في الكلمات أمورا سحرية، ويتخيّلون في معانيها أشياء لا يراها غيرهم، فهم قوم شديدو الاعتزاز بألفاظ اللغة، يتبنّون الكلمات، ويرعونها رعاية كبيرة، ينقّبون عما وراء المدلولات... وفي كل هذا من المبالغة والمغالاة ما يأباه اللغوي الحديث في بحث التّرادف، فإذا أبعدت من المترادفات تلك الكلمات التي تحايل عليها من أثبتوا الترادف، وخلقوا بينها مماثلة، كما أنّه إذا أبعدت تلك الكلمات التي لم ترد في نصّ لغوي صحيح النّسبة ، وجدنا أنفسنا أمام عدد معقول من المترادفات في اللغة العربية" (19) .
أما الدكتور "أحمد مختار عمر" في كتابه "علم الدلالة" فيخلص أن لا ترادف في اللغة:" إذا أردنا بالترادف التطابق التام الذي يسمح بالتبادل بين اللفظين في جميع السياقات، دون أن يوجد فرق بين اللفظين في جميع أشكال المعنى (الأساسي، والإضافي، والأسلوبي، والنفسي، والإيحائي)، ونظرنا إلى اللفظين في داخل اللغة الواحدة، وفي مستوى لغوي واحد ،وخلال فترة زمنية واحدة، وبين أبناء الجماعة اللغوية الواحدة، فالتّرادف غير موجود على الإطلاق"(20) .

3/ أنواع الترادف : وقد ميّز المحدثون بين الترادف التام (الكامل) والتّرادف بمعنى التقارب في المعنى أو أشباه الترادف .

أ- الترادف التام (الكامل): Complete synonymy: ذلك حين يتطابق اللفظان تمام المطابقة، ولا يشعر أبناء اللغة بأي فرق بينهما، ولذا يبادلون بحرية بينهما في كل السياقات(21). وقد أنكر أغلب اللغويين المحدثين هذا النوع، حيث إنّ الثروة اللفظية للغة

ما تتمايز في إطار الفروق الأكثر خصوصية، ولو كانت الكلمتان مترادفتين من جميع النواحي، لما كان هناك سبب في وجود الكلمتين معا، كما أنّ الاختلاف الصّوتي يتبعه اختلاف دلالي، حيث إنّ هناك فروقا دقيقة بين الكلمات التي يعتقد أنّ بينها ترادفا تاما، ولكن قد يصعب ملاحظة هذه الاختلافات، إذ إنّ معلومات الفرد منّا عن لغة بعيدة عن مجال الفحص الدقيق(22) .

ب- التّرادف بمعنى التقارب في المعنى أو الشبيه بالترادف :

وذلك بأن يتّفق اللفظان في كثير من الملامح الدلالية، لكن يختلف كل لفظ منهما عن الآخر في ملمح دلالي مهم أو أكثر ، بحيث نجد اللفظين متقاربين تقاربا شديدا لدرجة يصعب معها لغير المختصين أن يفرّق بينهما، كما نرى في كلمات مثل: "الناقة الضامر (الناقة النحيفة)، الدّوسر (الناقة البدينة)، اللبون (الناقة المدرة للبن)، والشَّخص (الناقة التي ذهب لبنها) (23)، كذلك كلمة: عام، سنة، حول... ثلاثتها قد وردت في مستوى واحد من اللغة في القرآن الكريم .

وهذا النوع من الترادف هو الشائع في اللغة، ويوجد داخل ألفاظ المجال الدلالي، حيث تشترك ألفاظ المجال في كثير من الملامح الدلالية التي تجمعها تحت معنى واحد، لكن تبقى فروق دقيقة أو ملامح دلالية خاصّة ومهمّة،تميّز بين كل كلمة وأخرى داخل المجال الدلالي .

وقد اشترط العلماء للقول بوجود الترادف في الكلمات المترادفة شروطا معيّنة إذا ما توافرت أمكن القول معها بالترادف (24) :

- ضرورة الاتفاق بين معنى الكلمتين المترادفتين أو الكلمات المترادفة اتفاقا تاما ، فإن تبيّن لنا بدليل قوي، أنّ العربي كان يفهم حقا من كلمة (جلس) شيئا لا يستفيده من كلمة (قعد) قلنا حينئذ ليس بينهما ترادف .

- الاتحاد في البيئة اللغوية : ولعل عدم إدراك المغالين بإنكار الترادف لم يتفطنوا إلى هذا الشرط الذي تنبّه إليه الموافقون على الترادف وأدركوا أهمية التفريق بين البيئات اللغوية، وأنه على الرغم من وجود اللغة العربية الفصحى المشتركة، إلا أنّها تستوعب بين حناياها

كثيرا من لغات العرب ولهجاتهم من شتى أصقاع الجزيرة ونواحيها، وأن كل لهجة من هذه اللهجات تعدّ بيئة واحدة في حدّ ذاتها .

- الاتحاد في العصر أو الزمن الذي توجد فيه هذه الألفاظ المترادفة، فالقول بالترادف يستوجب وجود الألفاظ المترادفة في زمن أو عصر واحد، ولا يمكن القول بالترادف وفقا للنظريات اللغوية الحديثة بين ألفاظ في عصور أو عهود مختلفة، حيث لا يصحّ القول بأنّ علاقة الترادف قائمة بين ألفاظ المتكلمين في العصر الجاهلي، وألفاظ نقشت على الصخور للغة العربية في عصر عربية النقوش .

- ألا يكون أحد اللفظين نتيجة تطوّر صوتي آخر، فلا يمكن القول بأنّ بين كلمتي(الجثل والجفل) ترادفا، لأنّهما بمعنى واحد وهو(النمل)، لأنّنا سنلحظ بأنّ إحدى الكلمتين هي وحدها التي تحمل المعنى الأصلي في أذهان الجماعة اللغوية، وأن الكلمة الثانية قد تطورت عنها ،حيث يمكننا القول بأنّ (الفاء) قد تطورت أو تغيرت من (الثاء) .

4/ تجليات التّرادف في الدّيوان :

وبعد هذه الإطلالة الموجزة على تعريفات الترادف عند القدماء والمحدثين، نبدأ بدراسة هذه الظاهرة في ديوان الشابي، إذ تجّلت بكثرة في شعره، ولا نريد هنا أن نذكر جميع المترادفات بقدر ما نودّ إظهارها في ديوانه ، متخيّرين بعض المجموعات الدلالية مثل :ألفاظ الموت، وألفاظ الحزن والكآبة وألفاظ المرض، وألفاظ البلاء والمحن، وغيرها من المترادفات. ونبدأ بالموت، فقد استخدم الشاعر مفردات(الموت، الحتوف، الحِمام، الرّدى، الفناء، المنايا، المنون) لتدلّ على معنى واحد حيث قال:

إلى المو تِ !ياابنَ الحياةِ التعيس   ففي الموتِ صوت الحياةِ الرّخيمْ(25) .
تباكي بها لبّها المُسْتطار   وَترثِي بهِ ما طوَتْهُ الحُتوف (26) .

وقال أيضا:

أ يّ عيش هذا وأي حياةٍ؟   رُبَّ عيش أخفُّ منْهُ الحِمَامُ (27).
هكذا المخلصونَ في كل صوب   رشقا ت الرَّدى إليهم مُتاحَهْ (28).
تبرّمت بالعيش خو ف الفنا ءِ   ولودمت حيّا سئمت الخلود (29)

با لمنايا تغتالُ أشْهى أمانيَّ وُتذوي مَحاجري، وشفاهي (30).

وقال:

فا صْبرْ على سُخْطِ الزّما ن وما تصرُّفه الشؤون
فَلسَوْ ف يُنْقِذكَ المَنون، ويَفْرحُ الروحُ السَّجين (31) .

فالحمام أو الموت عند الشابي أخفّ من العيش دون كرامة .أما الرَّدى فهو الهلاك(32). حيث جعل الشاعر الموت والهلاك مصير من يحاول أن يخلّص شعبه من ظلم المستعمر واستبداده . فالشاعر يواسي نفسه، فقد ملَّ الحياة، وفي الوقت نفسه يخاف الموت، وهو سوف يسأم الخلود إذا استمرّت الحياة. والمنيّة أيضًا الموت وجمعها المنايا.(33)حيث شبّه الشاعر المنايا بالشيء القاسي الذي يقتل أماني الإنسان وطموحاته .أما المنون فهو الموت، لأنّه يَمَنُّ كل شيء حيث يضعفه وينقصه ويقطعه(34). ويتمنّ الشاعر في البيت الأخير الموت، لأنّه يعتبر السعادة على هذه الأرض مستحيلة، وكأنّ الروح الإنسانية تشعر بالضيق وتحاول التخلّص من قفص الجسد، وهذا بدوره يكشف عن تشاؤمه من هذا الوجود إلى حدٍ بعيد .

الشعر هو وليد الخصام في النفس والوجود والخير المتداعى والسّعادة المولية، المترامي عليها ظلّ السّواد والألم، والحركة العجيبة التي تلد الحياة والموت. وأنّ لغز الحياة وأحداثها هي جميعا بواعث الشّعر إلى رؤية يقين الخير إذا كان للخير يقين .

كما استخدم الشابي مفردات (الحزن، والأسيف، وأساها، وأشجان، وشجيّ، والاكتئاب) لتدلّ على معنى واحد. قال :

و قمت على النّهر ، أهْرِ ق دمعا تفجّرَ فيض حُزْني الأليم (35)
لكنّ قلبي وهو مُخضَلُّ الجوانب بالدّموع
جاشتْ بهِ الأحزانُ، إذا بها تلكَ الصُّدوع (36).
فقلّبت طرفي بمهْوَى الزهو وصعَّدْتهُ في الفضاءِ الأسِيف(37).
و تشكو أساها بياضَ النهار وَتندُبُ حظَّ الحياةِ السخيفْ (38).
و جئت إلى الغاب أسكبُ أوجاعَ قلبي نحيبًا،

كلفح اللّهيب نحيبًا تدافعَ في مهجتي
وسالَ يَرنُّ بَندْب القلوب فلم يفهِم الغابُ أشجاَنه (39).

وقال:

يا أيها القلبُ الشَّجيُّ ! إلامَ تخْرسُكَ الشُّجونْ
رُحْمَاكَ قد عَذَّبتني بالصّمتِ والدمع الهَتونْ(40).

وقال الشابي:

كآبتي خالفت نظائِرَها غَريبةٌ في عوالمِ الحزَن
كآبتي فكْرةٌ مغرّدة مجهولةٌ من مسامع الزمنْ (41).
ولكنَّني أجهدت نفس وَهْيَ بادية اللُّغوب
أ سمعْت نوْحَ العاشق الوَلهان ما بينَ القبور(42).

وإذا ما تتبّعنا الكلمات المترادفة في الأبيات ،وجدنا دورانها حول معنى الحزن والأسى. فالحزن هو خلاف السّرور. ففي البيت الأول أتى الشاعر يهرق عند النهر دمعه بمهجة مملوءة حزن وأسى، وفي البيت الثاني يذكر أنّ قلبه قد طغا بالحزن وامتلأ. أما في البيت الرابع فقد استخدم لفظ الأسيف، والأسيف والأسوف يأتي بمعنى السريع الحُزن وقد يأتي بمعنى الغضبان (43). فالشاعر يظهر في هذا البيت فزعه وحزنه من مظاهر الحضارة ومظالمها. وجاءت كلمة أساها في البيت الخامس بالمعنى السابق أيضًا واصفًا شقاء زهرة حزينة، تندب حظها في هذا الوجود القاسي .

واستخدم في البيت الثامن كلمة أشجان (أثناء مخاطبته الطبيعة) الغاب (الذي تركه وحيدًا في مجابهة أحزانه)، فجاءت هذه الكلمة بمعنى الحزن والهم، ومفرد أشجان : شجن، يقال " شجِن ، بالكسر، شجنًا وشجونًا، فهو شاجن" (44) .

وفي البيت التاسع جاءت كلمة "شجي" بالمعنى السابق وهو الحزن، يقال أشجيت الرجل : أوقعتهُ في الحزن، والشجو الحُزن (45) .

وجاء "الاكتئاب" في البيتين الحادي والثاني عشر ،عاكسا تضخّم إحساس الشاعر الكبير بحزنه. فالكآبة هي :سوء الحال (46) .والكآبة :تغيّر النفس من شدة الهمّ والحزن (47)، وبذلك نكتشف هنا وجود علاقة لغوية تعكس واقعا نفسيا مريرا لدى الشاعر هي الكآبة الفكرة، وهي علاقة خاصة تعطي دلالة التمكّن، تمكّن الكآبة من الشاعر، ومع ذلك فالزّمن لا يريد أن يسمعها فتنفرد بأحزانها.

وفي البيت الأخير استخدم لفظ "الولهان"، والوَله يكون في الحزن والسّرور مثل الطَّرب(48)، لكنّه عبّر به هنا لمعنى الحزن واللوعة خلال بث شكواه إلى الشعر.

ونلاحظ خلال الاستعراض السّريع لمعنى الكلمات وشرحها خلال الأبيات، أنّها مختلفة باللفظ متّفقة بالمعنى، وهذا ما يسمّى بالترادف عند اللغويين.

كما استخدم الشاعر مفردات (البلوى، والخطوب، والدواهي، والأرزاء، والمصائب، والنوائب)، لتدلّ على معنى واحد .

في مهجتي تتأوه البَلْوى وَيعْتَلِجُ النَّحيب (49) .

ولولا خُطوبٌ مَزْقتْنِي نيوبها وشدّتْ على قلبي مخالبُها الحُمْرُ (50) .

وقال : (إلى الله)

وهو نايُ الجما ل، والحُبِّ والأحلام، ولكنْ قد حَطَّمتْهُ الدَّواهي (51) .

يا مو ت !قد مزَّقت صدْري وقصمت بالأرزاءِ ظهْري (52) .

ألا إنّ أحلامَ الشباب ضئيلة تحطِّمُها مثلَ الغصون المصائبُ (53) .

و نشيج مُضَرَّم من فتا ةٍ أَبْهَظتها قوارعُ الأيَّا م (54) .

وقال أيضا : (الطويل)

عوائدُ تحيي في البلاد نوائبا، تَقدّ قوام الدّين، والدّين قائمُ (55).

نلاحظ أنّ الألفاظ السابقة جميعها عبّرت عن مصائب الشابي العظيمة، ومحنه وابتلاءاته فوردت بألفاظٍ وسياقات مختلفة، ولكنّ معناها واحد، فالبلوى من بَلِي يبْلى، والبلى مصدره، والبلاء في الخير والشرّ (56)، حيث اعتلى صوت الشاعر بالبكاء لكثرة المصائب التي ألّمّت به، والخطوب في البيت الثاني تعني المصائب.

أما الدّواهي فهي جمع داهية :ما أصاب الإنسان من عظائم (57)، واستخدم الشاعر هذه الكلمة في البيت الثالث، وهو آخر أبيات قصيدة (إلى الله) يُقرّ ويعترف بأن خَلل الإيمان الذي أصاب قلبه يعود إلى المصائب والبلايا التي أصابت قلبه .وكذلك كلمة "الأرزاء" في البيت الرابع تعني المصائب،وتجمع أيضًا على "رزايا" ومفردها "الرَّزيئة"(58)، عندما اعترف الشاعر في ذلك البيت أنّ المصائب قصمت ظهره وكان في مقدّمتها موت والده. أما في البيت الخامس فقد استخدم لفظ"المصائب" بمعنى النوائب والفجائع ،وذلك من خلال حزنه وألمه على طموحات الشباب التي تحطّمها المصائب والفجائع، فيصبحون دون حلم وطموح.

ونجد في البيت السادس، كلمة "قوارع" ومعنى" القارعة" :النازعة الشديدة تنزل على الذين كفروا بأمر عظيم، وقيل ليوم القيامة: القارعة أيضًا (59).

و في قصيدة أيها الحب قال الشابي :

أَيُّهَا الحُبُّ، أَنْتَ سِرُّ بَلائِي، وَهُمُومِي، وَرَوْعَتِي، وَعَنَائِي

وَنُحُولِي، وَأَدْمُعِي، وَعَذَابِي، وسقَامِي، وَلَوْعَتِي، وَشَقَاَئِي(60)

نلاحظ ورود الترادف بين كلمتي بلائي وهمومي، فلفظة "بلائي" تعني المصيبة التي تلحق بالإنسان في حياته، أما كلمة "همومي" فيراد بها المشاكل التي تملأ حياة المرء، فالشاعر وقع في حيرة وتحسّر وألم من أوجاع الحياة، وما فيها من حبّ وغيره.

كما نجد الترادف بين لفظتي "عنائي وشقائي" ،فالمقصود بالكلمة الأولى: التعب والمشقة ،فهو أكثر تعب وملل من سأم الواقع الذي يعيشه ، كذلك نلاحظ الترادف بين "بلائي، وسقامي" من البيت الشعري نفسه، فيعني بالبلاء المحنة التي تنزل بالمرء ليختبر بها، أما السقام فالمراد به المرض الذي يبتلى به الإنسان.

كما يتحقّق الترادف بين المخاوف، الرّعب في بيت شعري آخر:

وَامْلأْ طَرِيقِي بِالْمَخَاوِفِ والدُّجى، وَزَوَابِعَ الأَشْوَاكِ، والحَصْبَاءِ

وانْشُرْ عَلَيْهِ الرُّعْبَ، وانْثُرْ فَوْقَهُ رجمَ الرَّدى، وصَواعِقَ البَأْسَاء.(61)

الخاتمة :

ومن خلال ما سبق نستطيع القول أنّ علاقة الترادف قد أسهمت في تحقيق ترابط نصوص "أغاني الحياة "وانسجامها، حيث أصبحت لحمة واحدة،لا ينفصل الجزء منها عن الآخر. وبلا شكّ أنّ الترادف حقيقة لغوية في كثير من اللغات، ومن جحده فقد ألغى جزءا من رصيد العربية اللغوي، من قبل الشاعر والأديب ،وحتى الإنسان الأمّي الذي لا يميّز الجلوس من القعود، ولا القيام من النهوض.

الهوامش والمراجع والمصادر

(1) جمال الدين محمد بن مكرم بن منظور، لسان العرب، ، مج 9، دار صادر، ط3، بيروت، 1994 ص114-117.
(2) أبو حامد محمد بن محمد الغزالي، المستصفي من علم الأصول، تحقيق: محمد سليمان الأشقر، مؤسسة الرسالة ، بيروت، لبنان ، ج1، ص45.
(3)جلال الدين عبد الرحمن السيوطي، المزهر ، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم ،المكتبة العصرية، ج1 ،بيروت،1988 ، ص316.
(4) ينظر :صبيح التميمي، هداية السالك إلى ألفية ابن مالك، دارالهداية، ج2 ،ط 2 ، قسنطينة،1990 ص 266.
(5)ينظر :حلمي خليل، مقدمة لدراسة فقه اللغة، دار المعرفة الجامعية ،الأزاريطة دط،مصر ،2005،ص167.
(6)أبوعلي أحمد بن زكريا ابن فارس، الصاحبي في فقه اللغة وسنن العرب في كلامها ، تحقيق مصطفى الشويمي ، دط، بيروت ،1963، ص97.
(7)أبو الفتح عثمان ابن جني ، الخصائص،ج2، تحقيق محمد علي النجار، دار الهدى للطباعة والنشر، ،بيروت،د ت ص115.
(8)المصدر نفسه ، ص120.
(9) إبراهيم أنيس، دلالة الألفاظ، مكتبة الإنجلومصرية ،ص 211.
(10)ينظر :أبو هلال العسكري، الفروق اللغوية، تحقيق: حسام الدين القدسي، دار الكتب العلمية، دط ،بيروت، دت، ص13.
(11) السيوطي، المزهر في علوم اللغة وأنواعها، ج1، ص 404.
(12) محمد بن القاسم الأنباري، كتاب الأضداد ، ص07 .
(13) ابن فارس، الصاحبي، ص96.
(14) المصدر نفسه ، ص218.

(15) ينظر :هادي نهر، علم الدلالة التطبيقي في التراث العربي، عالم الكتب الحديث، ط1، عمان / الأردن، 1429 هـ / 2008 ، ص405.

(16) حلمي خليل، مقدمة لدراسة فقه اللغة، دار المعرفة الجامعية، الأزاريطة، مصر، 2005ص171.

(17)ينظر :هادي نهر، مرجع سابق، ص413.

(18)إبراهيم أنيس، في اللهجات العربية، ص231.

(19) المرجع نفسه، ص ن.

(20) أحمد مختار عمر،علم الدلالة،مكتبة دار العروبة للنشر والتوزيع، ط1،الكويت، 1982. ص227-228.

(21) ينظر : المرجع نفسه ، ص220.

(22)ينظر :محمد محمد داود،العربية وعلم اللغة الحديث،دار غريب،دط، القاهرة، 2001، ص192.

(23) ينظر :كريم زكي حسام الدين، أصول تراثية في اللسانيات الحديثة، الرشاد للطباعة والتغليف، ط1 ،مصر، 2001 م ص292.

(24) حسام البهنساوي،علم الدلالة والنظريات الدلالية الحديثة،جامعة الفيوم، القاهرة، ط1 ، 2009، ص172-173.

(25) أبو القاسم الشابي، ديوان أغاني الحياة ، مداخلة وتحقيق الدكتور إميل ،أ. كبا ، دار الجيل ، ط 1،بيروت، المجلد الأول ، الشعر ،1997 .، ص189

(26)المصدر نفسه ، ص352

(27) المصدر نفسه، ص 226

(28) المصدر نفسه، ص468

(29)المصدر نفسه ، ص229

(30) المصدر نفسه،ص202

(31)المصدر نفسه ، ص303

(32) المصدر نفسه، ص250

(33) الديوان ، ص138 -139.

(34) المصدر نفسه، ص134

(35) المصدر نفسه ، ص67

(36) المصدر نفسه، ص220

(37) المصدر نفسه، ص353

(38) المصدر نفسه ، ص 352

(39) المصدر نفسه، ص67 1.

(40)الديوان، ص303.

(41) المصدر نفسه، ص146.

(42) المصدر نفسه، ص175.

(43) الديوان، ص105 -106.

(44) ابن منظور، ج8 ، ص27 .

(45)المصدر نفسه، ص28 -29

(46) ابن فارس، مقاييس اللغة، ج5 ، ص150

(47) ابن منظور، لسان العرب، ج 13 ، ص5

(48) ابن منظور، لسان العرب، ج 15 ، ص280

(49) الشابي، الديوان، ص433

(50) المصدر نفسه، ص 254

(51)المصدر نفسه ، ص 205

(52) المصدر نفسه، ص 189

(53) المصدر نفسه، ص 142

(54) المصدر نفسه، ص426

(55) المصدر نفسه ، ص 496

(56) ابن منظور، لسان العرب، ج1 ، ص292 -293

(57) ابن فارس، مقاييس اللغة، ج2 ، ص305

(58) ابن منظور، لسان العرب، ج6 ، ص144

(59) المصدر نفسه، ج 14 ، ص377

(60) الديوان، ص265 .

(61) الديوان، ص487 .